سلسلة تفريغات فضيلة الشيخ

٤

الأُصُولُ السِّتَّةُ

تصنيفُ الإمامِ

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

شرحُ

فضيلةِ الشَّيخ

د. محمد هشام طاهري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين، وبعد:

فهذا هو المجلس الثالث من مجالس الدورة التأصيلية الأولى في دورتها الثانية، وهو المجلس الأول الذي نشرح فيه رسالة [الأصول الستة] للإمام محمد بن عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-.

أولًا -أيها الإخوة- هذه الرسالة قيِّمة جدًا؛ لأنها تبيِّن ستة أصولٍ من مناهج أهل السُّنَّة والجماعة، فإن أهل السُّنَّة والجماعة اعتقادهم ودينهم مبنيٌّ على أصول، ومبنيٌّ على منهج، هذه الأصول بيَّن بعضها الإمام محمد عبد الوهاب - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- في هذه الرسالة العظيمة المسماة بـ[الأصول الستة].

وأما عامة أصول معتقد أهل السُّنَّة والجماعة فإنها مذكورة في مثل كتاب [أصول السُّنَّة] للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وخصصَّ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأصول الستة لوجود الحاجة إليها في هذه الأزمان المتأخرة من جهة، ولغربتها في أنظار الناس من جهةٍ أخرى، ولأهميتها من جهة الأدلة الشرعية والقواعد المرعية.

فنبدأ على بركة الله.

المتن:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته الأصول الستة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

الأَصْلُ الأَوَّلُ

إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ.

الشرح:

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتتح هذه الرسالة بالبسملة؛ لأن الرسائل ينبغي بدؤها بالبسملة؛ اقتداءً بما جاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، واقتداءً بالأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، كما ذكر الله عن سليمان: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [سورة النمل، من الآية:٣٠-٣١]، وهكذا كان النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفتتح رسائله بالبسملة.

وقول المصنف في ترك الحمدلة؛ لأن البسملة فيها غُنية، فهي متضمنة للحمد، ولا يُشترط ذكر الحمد مع البسملة، وإن لو ذكرها الإنسان لكان أنسب.

قال: (مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ)؛ هذه المقدمة مشتملة على أمرين:

الأول: أن الأصول التي يحتاجها الناس في الوصول إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وفي معرفة دين الرسول مُبيَّنة، واضحة للعوام فضلًا عن العلماء، لماذا؟ لأن الحاجة كلما ازداد إلى شيءٍ في الدين كلما كان البيان فيه أوضح، والحاجة إلى بيان الأصول أعظم من الحاجة إلى بيان مسائل أخرى غير أصول المعتقدات، والمنهج المتبع في الاعتقادات وفي التدين.

الأمر الثاني: أن هذه الأصول مع بيانها ووضوحها للعوام؛ الذين فهم المشركون هذا الأمر، وفهم -يعني- عامة المسلمين في الزمن الأول هذه الأصول، غَلِط فيها كثيرٌ من أذكياء العالم وعقلاء بني آدم، وهذا يدل على عظيم قدرة الملك الغلاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أن من يلجأ إلى ذكائه وعقله يكون هلاكه من جهته، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يكون منطرحًا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، لا يكون معجبًا بنفسه، أو برأيه، أو بذكائه، أو بفطنته، أو بكثرة من حوله، فهذه كلها مضلات الفتن -نسأل الله السلامة والعافية-.

ثم ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الأصول الستة، وذكر الأصل الأول وحتى نتصور تصورًا ذهنيًا لهذه الأصول تأملوا معي كيف رتبها:

- الأصل الأول: متعلق بالإخلاص، وهذا لا شك أنه أصل الدين وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.
- الأصل الثاني: أعظم مقصد من مقاصد إرسال الرسل بعد هذا المقصد الذي هو التوحيد؛ الاجتماع، ذكر الأصل الثاني الذي هو الاجتماع.
- ثم ذكر الأصل الثالث الذي به يتم الاجتماع؛ وهو السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف.
- ثم بيَّن من هم العلماء والفقهاء الذين ينبغي علينا أن نتبعهم في مسائل الدين حتى لا يشتبه علينا من هو ليس منهم.
- ثم ذكر من هم أولياء الله حتى لا يلتبس بأولياء الشيطان.
- ثم ختم الأصول الستة بأصلٍ عظيم، وهو أن الدين بيانه ومصدره هو القرآن والسُّنَّة، وكيف أن إبليس وأعوانه يصدون الناس عن هذه الأصول الستة.

الكتاب والسُّنَّة، الوحي المنزل الخفي والجلي داعٍ إلى الإخلاص، والاجتماع، والسمع والطاعة، وبيان من هو العالم الذي يؤخذ عنه العلم، ومن هو ولي الله، وبيان المصدر الذي نأخذ منه العلم، فيأتي الشيطان ويُلبس لهم في الإخلاص تلبيسًا، ويجعل الاجتماع ذلًّا، ويجعل السمع والطاعة انبطاحية، ويجعل حصر العلماء؛ العلماء فلان وفلان، يقول: هؤلاء العلماء حشويين، هؤلاء علماء لا يفهمون الواقع، هؤلاء علماء سلاطين، يضعون أسماء من عند أنفسهم.

ثم إذا جاءت قضية أولياء الله، عندهم ولي الله هو من يكون أكثر تابعًا، أو أكثر مريدًا، ليس هكذا الأمر، ثم يصدون الناس عن الكتاب والسُّنَّة ويقولون: نحن في زمن والقرآن والسُّنَّة في زمن، نحن الآن منفتحين عهد الانفتاح، عهد ما أدري أيش! وهكذا، والله حاجتنا إلى هذه الأصول الستة أعظم من حاجة من في زمن الإمام إلى هذه الأصول الستة.

فذكر الأصل الأول بعد أن انتبهنا إلى الخارطة الذهنية حتى ما ننساها:

- إخلاص.

- اجتماع.
- السمع والطاعة، آلة الاجتماع.
- العلم والعلماء الذين يحثون الناس على الإخلاص، وعلى الاجتماع، وعلى السمع والطاعة.
- ثم أولياء الله عَزَّوَجَلَّ من هم.
- ثم المصدر الذي يؤخذ منه الدين؛ الكتاب والسُّنَّة.

)الأَصْلُ الأَوَّلُ)؛ قال: (إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)؛ ومعنى إخلاص الدين؛ أي: أن تعبد الله لا تشرك به شيئًا، كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء، من الآية:٣٦]؛ وكما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة، من الآية:٥]؛ تُخلص الدين لله، فتُخلص دينك من الشرك وشوائبه، ومن الرياء والسمعة، ومن العُجب، ومن الكبر والخيلاء.

الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن هذا الأصل بيانًا شافيًا كافيًا ماتعًا ظاهرًا، وبيَّن ضده، ما هو ضد الإخلاص؟ الذي هو الشرك بالله؛ سواء القرآن كله يكاد الإنسان يجزم أن تسعة وتسعين في المائة من آيات القرآن في بيان التوحيد، وبيان ضده وهو الشرك، لماذا؟ ما هو القرآن؟ القرآن لاحظوا الآن!

- إما خبرٌ أمرٌ بالتوحيد، أو أمرٌ عن ضده وهو الشرك.
- أو أمرٌ بمكملات التوحيد؛ كالصلاة والصوم.
- أو أمرٌ عما هو من شُعب الكفر والشرك؛ كالزنا والسرقة.. إلى آخره.
- أو خبرٌ عن الذين هم موحدون، وما لهم من الجزاء يوم القيامة والجنة.
- أو خبرٌ عن المخالفين للتوحيد، المشركين وما لهم من العقاب في الدنيا والآخرة.

هذا هو القرآن كله، هذا الدين بيَّنه الله، هذا الأصل بيَّنه الله بيانًا شافيًا ثم ترى من ينذر لغير الله، من يحلف بغير الله، من يُعظِّم غير الله، من يتوكل على غير الله، من يستغيث بأولياء الله، ويتركون الحي القيوم، السميع البصير، العزيز القوي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عجب! الله بيَّن الشرك،

وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوهٍ شتى، يقول المصنف: (مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى)؛ ما هي هذه الأوجه؟ - اكتبوا بعض الأوجه لتحفظوها-:

الوجه الأول: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وهذا في آياتٍ كثيرة.

الوجه الثاني: بيان ثمرات التوحيد، والعواقب الوخيمة للشرك.

الوجه الثالث: بيان ما للموحدين، وبيان ما للمشركين.

الوجه الرابع: أن التوحيد تعظيمٌ لله، وأن الشرك ظلمٌ مع الله.

الوجه الخامس: أن الله لا يقبل الأعمال إلا مع التوحيد، وأن أعمال المشركين هباءٌ منثور لوجود الشرك.

فهذه خمسة أوجه القرآن مليءٌ في تقريره، في تقرير هذه المسائل، القرآن مملوءٌ بتقرير هذه المسائل.

يقول المصنف: (يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ)؛ بالله عليكم لو جبنا أبلد عامي عربي يسمع القرآن: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء، من الآية:٣٦]؛ هل يفهم منه أن أركع لغير الله وأسجد لغير الله؟ ولا يفهم أنه لا تركع إلا لله، ولا تسجد إلا لله، هذا أمر واضح، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [سورة الكوثر، من الآية:٢]؛نجيب أبلد رجل يفهم العربية ولو لم يكن مسلمًا، فنقول له: ما معنى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [سورة الكوثر، من الآية:٢]؟ يفهم أنه لا يجوز أن تصلي لغير الله، ولا أن تركع لغير الله، نجيب أبلد الناس العوام؛ سواءً كانوا رجالًا أو نساءً، أعرابًا أم حاضرةً، أُميين أو مثقفين، نقول ما معنى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٦٢-١٦٣]؟ والله لن يفهم إلا ألا تصرف العبادة إلا لله، فكيف وجد الشرك إذًا؟

يقول المصنف: (ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ)؛ ما الذي حصل؟ (أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ)؛ لله في العبادة، (فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ)؛ أنت تذبح لله بس؟ ما تذبح للولي؟ أنت تنقص الصالحين ما تعطيهم حقهم، أنت مقصر معهم، أنت ما تذبح للجن، أنت مقصر معهم.

)وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتْبَاعِهِمْ)؛ نحن نحب؛ يقول: نحن نحب عيسى، فيشركون بالله ويصرفون العبادة لعيسى، يقولون: نحن نحب الجيلاني، ويقولون: يا جيلاني المدد، يقولون: نحن نحب البدوي، يا بدوي أغثني، أرزقني الولد، يقولون: نحن نحب الحسين، وهل حبك للصالحين يعني أن تجعله شريكًا مع الله! إذًا ما الفرق بينك وبين النصراني الذي جعله حبه لعيسى أن يجعله شريكًا مع الله!

فإن قال إن النصراني يقول: إن عيسى ثالث ثلاثة، وأنا لا أقول: إن الولي ثالث ثلاثة، نقول: نعم، لكن حينما تناديه من دون الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، حينما تذبح له، حينما تتوكل عليه، ما الفرق صار بينك وبينه؟ إلا في الصورة أو في الاسم؟ لا؛ الشرك شركٌ مهما تغيرت الصور.

فينبغي علينا أن نُدرك أن أهل التوحيد يحبون الأنبياء، والمرسلين، والصالحين، والصديقين، لكن والله لا يصرفون لهم شيئًا من حقوق الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يخضعون إلا لله، ولا يخشون إلا الله، ولا يتوكلون إلا على الله، ولا يرجون الثواب إلا من الله، ولا ينظرون إلا لله، ولا يذبحون إلا لله، كما مر معنا في الأصول الثلاثة.

أما المشرك يحب الله ويحب الصالحين، يعبد الله ويعبد الصالحين، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٥].

والواقع خير شاهدٍ على أن هذا الأصل قد انخرم في بعض المجتمعات الإسلامية فضلًا عن غير الإسلامية، الواقع خير شاهدٍ أن هذا الأصل لم يهتم به إلا العلماء الفقهاء الذين هم علماء فقهاء يجب اتباعهم، ولم يهتم به علماء الدنيا علماء السياسة؛ لأنهم ليسوا علماء ولا هم فقهاء لا في دين الله، ولا هم فقهاء وعلماء في حق الله عَزَّوَجَلَّ، هم علماء فقهاء في حق الدنيا، وإن ظهروا للناس أنهم علماء كما سيأتي معنا، نعم. الأصل الثاني.

قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

الأَصْلُ الثَّانِي

أَمَرَ اللهُ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ العَوَامُ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسْلِمِينَ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي

ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْمُ وَالفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَصَارَ الِاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لَا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

الشرح:

وهذا الأصل متفرع عن الأول، تأملوا هذه الآية في سورة آل عمران، قال الله :عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٣]؛ لاحظ الآن! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٢]؛ ها كملوا الآية، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٣].

الأصل الأول: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٢]؛ أي: موحدون مخلصون، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٣]؛المصدر القرآن والسُّنَّة، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٣]؛ هذا أمر من الله عَزَّوَجَلَّ بالاجتماع في الدين، بل وبالاجتماع في الدنيا كما سيأتي في الأصل الثالث، فالاجتماع في الدين إنما يكون على المصدر وعلى الشارح، كيف نجتمع؟

لو سألناكم سؤالًا: القضاة في أي دولةٍ ما كيف يجتمعون في أحكامهم؟ ما الضابط الذي يضبطهم في أن تكون أحكامهم متقاربة ليست متباعدة؟ عندهم المصدر واحد، وعندهم الشرح لهذا المصدر واحد، بالله عليكم لو تعددت المصادر، وتعدد شراح المصادر، هل سيتحدون في الأحكام، أو يتقاربون ولا يتباعدون؟ يتباعدون، لذلك الدولة الحازمة لا تسمح إلا بمصدرٍ واحد وشرحٍ لهذا المصدر واحد، غير هذا ممنوع.

لذلك الشريعة جعلت لنا المصدر واحدًا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٣]؛ القرآن والسُّنَّة، «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّتي»، كما في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، تأملوا معي! المصدر واحد، الشارح الصحابة – رضوان الله عليهم– هم الذين شرحوا لنا هذا المصدر، ما هو يأتي الفيلسوف يفهمه بهواه، والمنطقي يفهمه بمنطقه، والصوفي يفهمه بذوقه ووجده؛ لا ليس متروكًا.

لذلك قال الله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة النساء، من الآية:١١٥]؛يروح شرق ولا غرب، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ

مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء، من الآية:١١٥]؛ فهذا الأصل العظيم أمرنا الله بالاجتماع في الدين، كيف نجتمع في الدين؟ نوحد مصدرنا، نوحد شرح المصدر، كيف نجتمع في الدين؟ نوحد شعاراتنا: (الله أكبر) ما عندنا شيء آخر، لا إله إلا الله، الحمد لله، ديننا الإسلام، نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كتابنا القرآن، قبلتنا الكعبة، فلماذا نختلف؟ شيء عجب والله، جميع مقومات الاجتماع أنزلها الله وجعلها الله موجودة غير مفقودة، فلماذا الناس تختلف إذًا؟ فإذا كانت مقومات الاجتماع موجودة واختلفنا فنعلم أن ثَمَّ أمران:

الأول: أن هناك أصحاب أهواء يريدوننا أن نختلف.

الثاني: أننا بعيدون عن ديننا فنختلف، وإلا ما يمكن أن نختلف، مقومات الاجتماع موجودة، فلماذا نختلف؟

ونهى عن التفرق في الدين، وهل هذا الأمر؛ الأمر بالاجتماع والنهي عن التفرق، هل هذا الأمر مبين في كتاب الله بيانًا شافيًا أو لا؟ سبحان الله العظيم! من أول سورة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:٦]؛ هو صراط مستقيم، ولا طرق؟ طريق ولا طرق؟ طريق واحد، شوف كيف! ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [سورة الفاتحة، من الآية:٧]؛طرق من أول الفاتحة.

بعدين بيَّن الله في البقرة اختلاف اليهود، اختلاف، اختلاف، اختلاف، اختلاف، لماذا؟ حتى لا نختلف، بيَّن الله في آل عمران اختلاف النصارى اختلاف، اختلاف حتى لا نختلف، بيَّن الله في النساء اختلاف الناس على الدنيا والأموال حتى لا نختلف، وهكذا في كثير من مقاصد سور القرآن الإخلاص لله، والاعتصام بدين الله عَزَّوَجَلَّ، وعدم التفرق في الدين، والتفرق في الدين أعظم من التفرق في الدنيا؛ لأن التفرق في الدين مخالفةٌ في الاعتقاد؛ ولأن التفرق في الدين لا بد أن ينشأ عنه التفرق في الدنيا، وبيَّن الله هذا بيانًا شافيًا تفهمه العوام، عوام المسلمين في القرون الأولى كانوا يفهمون هذا المعنى.

الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (بَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا)؛ ثم ذكر بعض الأوجه من البيان:

واحد:) نَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا)؛ هذا واحد، (نَهَانَا أَنْ نَكُونَ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا قَبْلَنَا فَهَلَكُوا(؛ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٠٥]؛

في سورة البقرة في مواضع، وقال عَزَّوَجَلَّ في سورة الشورى أيضًا: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [سورة الشورى، من الآية: ١٤]؛ اختلاف.

الثاني: قال المصنف: (وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسْلِمِينَ بِالِاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ)؛ هذا الثاني.

الثالث:) نَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ)؛ هذا الثالث، ولهذا يقول بعض العلماء: من أعظم مقاصد إرسال الرسل بعد التوحيد: الاجتماع في الدين والدنيا، الاجتماع في الدين على المُنزَّل، والاجتماع في الدنيا على ولي الأمر والحاكم كما سيأتي.

قال: (وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا)؛ وهذا الدليل الرابع، (مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ)؛ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عنه أحاديث كثيرة في ذم التفرق الديني: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ من بعدي، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بعدي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»، «وإن هذه الأمةُ ستفترقُ إلى ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً»، «لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي ظاهِرِينَ على الحقِّ ، لا يَضُرُّهم مَن خذلهم ولا من خالفهم»، يقع اختلاف، أحاديث كثيرة جدًا تبلغ مبلغ المتواتر.

يقول المصنف: (ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ)؛ يعني: في هذه القرون المتأخرة، (إِلَى أَنَّ الِافْتِرَاقَ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْمُ وَالفِقْهُ فِي الدِّينِ)؛ شلون تعرف العالم؟ أنه ما شاء يعرف أقوال الناس، واختلافات الناس، هذا هو العالم عندهم، وأن العالم هو من يقول: كلٌ على الحق، ليش؟ لأن في القرون المتأخرة صار عند المدعين للعلم، وإن كان هذا هو الصواب أن نسميهم المدعين للعلم، وإن كانوا علماء، صار عند العلماء المتأخرين أن الحق ما وصلت إليه أنت باجتهادك وليس لله أمرٌ حقيٌّ حقيقيٌّ في واقع الأمر، أعوذ بالله، أيش هذا! يعني في واقع الأمر لو اعتقد الإنسان باجتهاده أن الشرك توحيدٌ والتوحيد شركٌ كان صح عنده، شلون؟ انعكست المفاهيم، صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه اليوم هذا ما أدركه الإمام، اليوم الافتراق في الدين، والافتراق في مسائل أصول الدين، وفي مسائل فروع الدين، هذا حضارة يقول لك، اختلاف وجهات نظر، حرية، خلاص ما ندعو الناس للكتاب والسُّنَّة، كل واحد يركب رأسه، يقول: كل واحد عقله برأسه يعرف خلاصه، وين التناصح في الدين؟ وين التعاون على البر والتقوى؟ وين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وين النهي عن الافتراق والأمر بالاجتماع؟ مو بس جذي انعكست القضية صار

الاجتماع في الدين، يا جماعة تعالوا نجتمع على شيء واحد على الكتاب والسُّنَّة، صار الاجتماع في الدين لا يقوله بزعمهم إلا زنديق أو مجنون، انت من صدجك تقول للناس نجتمع، ما يمكن، يا أخي ما يمكن كونًا هذا الشيء؟ نحن مأمورون شرعًا بدعوة الناس إلى الكتاب والسُّنَّة بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

اليوم إذا قلت للناس: الواجب على الناس أن يعتقدوا ما كان عليه الصحابة، هذا أيش قاعد يقول! هذا عايش في أي قرن هذا! متخلف، رجعي، ما يرى الآراء، والأفكار، والاجتهادات، يا أخي آرائكم، اجتهاداتكم، أفكاركم في الدنيا متروكٌ لكم أروا ما ترون، أما في الدين ليست متروكًا لكم، بل هو بحسب النص المنزَّل، بحسب الدستور المنزَّل من الله، والشرح الموجود من صحابة رسول الله .صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ

وترتب على الاجتماع في الدين يأتي الاجتماع في الدنيا، ومن لم يجتمع في الدين لن يجتمع في الدنيا، انظروا إلى الأصل الثالث.

المتن:

أحسن الله إليكم.. قال -رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى-:

الأَصْلُ الثَّالِثُ

أَنَّ مِنْ تَمَامِ الِاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَائِعًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِنْ أَنْوَاعِ البَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرَ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ.

الشرح: الأصل الثالث أن من تمام الاجتماع في الدين السمع والطاعة في الدنيا لمن تأمَّر علينا؛ لأن الاجتماع الديني يؤدي إلى اجتماع الدنيوي، والاجتماع الدنيوي يؤدي إلى الاجتماع الديني، ولذلك أيها الإخوة هذه الشريعة كاملة متكاملة، فهي تأمرنا أن نسمع ونطيع لمن تأمَّر علينا.

والسمع معناه: إلقاء الأذن وعدم إحداث الضوضاء إذا تكلم الأمراء، مو كل واحد يذيع، وينشر، ويتكلم بالواتسابات على كيفه وعلى هواه، لا يا حبيبي، عندنا السمع والطاعة بالمعروف، إذا قلنا للناس: السمع والطاعة بالمعروف، قالوا: شوفوا الانبطاحيين يسمونا، شوفوا المتخلفين، شوفوا الرجعيين، شوفوا المستسلمين، والله بعد شوي يقول لك:

يهودي ولا صهيوني، والله مرة سمعت واحد يقول عن الشيخ الألباني صهيوني عميل، -أعوذ بالله- قاتلك الله، إذا الألباني عميل صهيوني يخدم سُنَّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنت وأيش تطلع أنت؟! هندوسي أنت! والله ما نعرف، دنيا عجيبة يا إخوان انقلبت المفاهيم.

الأئمة الذين شهد لهم علماء الأمة بالإمامة يُقال عنهم مثل هذا الكلام، لماذا؟ لأنه يأمر بالسمع والطاعة، يا أخي سؤال: من الذي أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمر؟ الله ورسوله؛ إذًا لسنا نحن، فلماذا لا تسمع أنت أمر الله ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء، من الآية:٥٩]، والله يقول في القرآن: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٢٦]، بيد الله عَزَّوَجَلَّ، تريد شيء أطلب من الله، لا؛ لازم نسوي مظاهرات، ونسوي أحزاب، ونسوي جماعات، ونسوي خروج، وتكفير، وقتل، وتفجير، دمر الأمة ليش؟ حزبه لازم يوصل للحكم، جماعته لازم يوصلون للحكم، خربوا الدنيا وخربوا الدين، خربوا الدنيا؛ لأنه لا يوجد أمن، لا يوجد أمان، خربوا الدين؛ لأن كل واحدٍ يكفر الآخر، هذا الواقع اليوم، حتى لو أردنا أن نُغمض أعيننا هذا هو الواقع، والاستخبارات العالمية شغالة في النفخ في هذه الأحزاب، والله هذه أحزاب ما جاءت إلا بشر في النفخ فيها، وكل واحد يعظمون مفتيهم، وعالمهم، ورئيسهم، وصاحب حزبهم وجماعتهم، حتى يرى المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا.

لأجل قضيةٍ واحدة يقيمون الدنيا ويقعدونها كأن الدنيا ما قامت إلا لواحد، ولنضرب مثال: مات صحفي، لا ندري ما أحداثه، مات في القنصلية مات أقاموا الدنيا وأقعدوها كأنه لا يوجد قضية إلا قضية هذا الصحفي في الدنيا، والقدس والمسلمين في سوريا، والمسلمين في بورما، كل هذه راحت؟ أي نعم، ليش؟ لأنها لمصلحة حزبهم وجماعتهم، هذا الحال يا إخوان، يجب علينا أن نفقه هذه الأصول، السمع والطاعة للأمراء، السمع في الأقوال، والطاعة في الأفعال، ما هما هذول يكذبون يقول لك: ها دول يقولون: السمع والطاعة ولو كان يأمر بالظلم، من قال هذا؟ السمع والطاعة في المعروف، فإذا أمرك بظلمٍ، أو فسقٍ، أو فجور فقل له: دمي دون ديني، أقتلني ولا أظلم، أقتلني ولا أفسق، أقتلني ولا أكفر، هكذا قال عمر -رضي الله تعالى عنه- قال: "فإن أرادوك على أمرٍ في دينك، فقل لهم: دمي دون

ديني، ولا تنزعن يدًا من طاعة"، يا إخوان مسائل واضحة، لكن هؤلاء لا يقرؤون عن السلف، ولا يدرون عما قاله السلف، وإذا قلت لهم حديثًا يؤولونه بما يُخالف مذهبهم ومنهجهم.

النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، ولو كان عَبْدًا حَبَشِيًا»، كما في سنن أبي داود والترمذي، وقال: «مَن يُطِعِ الأمِيرَ فقَدْ أطَاعَنِي، ومَن يَعْصِ الأمِيرَ فقَدْ عَصَانِي»، فبيَّن الله هذا بيانًا شائعًا كافيًا بوجوهٍ من أنواع البيان شرعًا وقدرًا.

- أما شرعًا؛ فالأحاديث الآمرة بالسمع والطاعة، الآيات الآمرة بالسمع والطاعة.

- أما القدر فلأن الله عَزَّوَجَلَّ أخبر أن الظالمين لا يذهبون إلا بأمره، ما هو بسيوف الناس.

ما قال الله لموسى ومن معه من بني إسرائيل خذوا سيوفكم اقضوا على فرعون، بل أوحى الله إليه أن يقول لقومه: يا قوم ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُواْ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٢٨]؛ هو شي يسوي؟ يا إخوان خلونا نقرأ القرآن، فرعون ماذا كان يفعل؟ فرعون يفعل شيئًا لم يفعله طاغية ولن يفعله طاغية على وجه الأرض، يُذبِّح المواليد من الأبناء، ويستحي النساء، أي ظلمٍ أظلم من هذا! أطفال صغار يولدون ما ذنبهم؟ وليس سنة ولا سنتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس حتى قال قوم موسى لموسى: ﴿أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٢٩]؛ إلى متى؟ قال: يا قوم ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٢٨]؛ أأنت تريد أن تكون أعظم غيرةً على دين الله لو كنت صادقًا من إبراهيم الخليل؟ لماذا لم يقاتل نمرود وامتثل أمر الله وهاجر إلى فلسطين، لماذا؟ أنت تريد أن تكون أغير من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يرى المسلمين في مكة يُقتلون، ويُسبون، ويُشتمون، ويُضربون، ويُسجنون، ويُشردون وهو معهم عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ يُسب ويُشتم ويُضرب ويُهان ويصبر، حتى يجعل الله له الفرج، أما اليوم الناس، لا، لا، لا، لا يتعلمون من القدر.

لذلك يقول شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: "وما وجدت جماعةٌ خرجت إلا كان ما أفسدوا أكثر مما أصلحوا".

كنت أعرف رجل أيام المظاهرات في مصر -غفر الله لي وله-، كان ممن يثير الناس في الخروج، فقلت له: يا هذا اتق الله، قال: نحن نريد رغيف الخبز، نحن نريد العيش بعزة، فلما حصل ما حصل، قلت له: أين رغيف الخبز؟ قال: ذهب رغيف الخبز ولم يبق إلا ربعه، قلت: بسببكم، يقول الله في القرآن وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ [سورة الشورى، من الآية:٣٠]؛ ما قال بحكامكم، قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [سورة الشورى، من الآية:٣٠]، وقال عزَّ من قائلٍ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٢٩]؛ بأيش؟ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأنعام، من الآية:١٢٩]؛ الله يقول، نريد أن يتولانا مثل أبو بكر وعمر، ونحن أيش؟ نحن ما نستاهل أن يولينا حتى هارون الرشيد، حقيقة، حقيقة واقعية.

جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أمير المؤمنين ما للناس اختلفوا في زمانك، ولم يختلفوا في زمن أبي بكرٍ وعمر؟ فقال له: "لأن الرعية في زمانهما أنا وأمثالي، والرعية في زمني أنت وأمثالك"، قضية واضحة جلية بينها الله بأنواعٍ من البيان شرعًا وقدرًا.

)ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرَ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ(؛ -شوف كلام الإمام شلون دقيق- ، هذا العلم صار لا يُعرف عند أكثر من يدعي العلم، يقول: لا ما في سمع وطاعة، شو السمع والطاعة؟ من صدجك، ظالم، فاسق، شريب سكير، أنا أسكت له! ما أخذ الأموال حاطها لجماعته أنا أسكت له! لا، أكثر من يدعي العلم ما يعرفون هذا الأصل، لا يعرفونه فكيف يعملون به؟

ويجي اليوم بعض الناس يريد أن يلبس خروجه على الحكام يقول محمد بن عبد الوهاب خرج على الخليفة في زماننا، محمد بن عبد الوهاب يذكر لك هذا أنه أصلٌ ثالث، كيف يخرج يا غبي؟!

ثم هو يكتب كتابًا للأمير الذي كان موجودًا في مكة بالنيابة عن الخليفة العثماني، ويقول له عن نفسه: "وإن عبدكم يرى لكم السمع والطاعة" شلون؟ دجالين، يدجلون على المسلمين، لا حول ولا قوة إلا بالله، إذا كان أكثر ما يدعي العلم لا يعرفون هذا الأصل، فوجب علينا أن نعرف من هم العلماء، فجاء الأصل الرابع.

المتن:

أحسن الله إليكم.. قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

الأَصْلُ الرَّابِعُ

بَيَانُ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ وَالفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٤٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٢٢]، وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلْعَامِيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، وَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسَ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الفَقِيهَ العَالِمَ.

الشرح:

الأصل الرابع مهم جدًا أن نعرف ما هو العلم ومن هم العلماء؟ ما هو الفقه ما هو الفقهاء؟ هذا الأصل بيَّنه الله في كتابه، فالله عَزَّوَجَلَّ أخبر أن العلم هو ما نزل من السماء، العلم الديني هو ما نزل من السماء، وليس ما خرج من جيوب الناس ومن رؤوسهم، والفقه هو الفهم عن الله ورسوله، وبيَّن الله من هو العالم، قال: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٢٨]؛ العالم هو الذي إذا رأيته يخشى الله فهو العالم، قلت له: قال الله يبكي ويسكت، لا يتكبر، لا يتجبر، بعض الناس يدعي العلم إذا قلت له: اتق الله، أنا اتق الله! أين علمك يا رجل؟ أين علمك؟ بعض الناس يقول: أنا عالم، إذا قيل له: أخطأت، يقول: أنا أخطئ، لماذا؟ هل العالم معصوم؟ تعرف أنه ليس بعالم.

الله بيَّن العلماء والفقهاء، وبيَّن من يتشبه بهم، وليس منهم، وطبعًا هذا المنصب شريف، منصب العلم والعلماء، والفقه والفقهاء شريف معزز عند الله، وعند رسوله وعند المؤمنين، فلذلك قد يلبسه من ليس أهلًا له ليُكرم، ليرأس، ليُقال: عالم، فقيه، قارئ، ما شاء الله قراءته عجيبة، بيَّن الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٤٠]؛

إلى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٢٢]؛ من أول الآية رقم أربعين إلى نهاية الآية السابعة – والآية رقم كم؟– من أول الآية أربعين للآية كم؟

لا مو سبعة وأربعين، مو معقول سبع آيات بينهم، هذه آية: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٤٠]؛ الصفحة الرابعة وآية: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٢٢]؛ الثانية آخر جزء عند: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٢٤]؛ شلون سبعة وأربعين؟

لا، لا كثير يا شيخ، ما يصير سبع آيات، أنا متأكد؛ لأني أنا أخرجت العدد.. شوف قلت لكم: إلى الآية مائة واثنين وعشرين –صلحوها– ما يصير، من الآية أربعين إلى الآية مائة واثنين وعشرين؛ لأني أنا مرة أخرجت صفات العلماء من هذه الآيات؛ فوجدت هناك أكثر من ستين صفة للعالم، وستين صفة لمن يتشبه بالعالم وليس منهم، سأذكر لكم خمس صفات رئيسة مهمة:

الأول: أن العالم هو من يُذكِّر الناس بالتوحيد، ومن يتشبه بهم يُزهِّد الناس عن التوحيد، هذا أمر مهم.

الثاني: أن العالم هو من يأمر بالاجتماع، ومن يتشبه بهم يأمرهم بالتفرق والتحزب.

الثالث: ان العالم هو من يأمرهم بالاعتصام بالكتاب والسنة، ومن يتشبه بهم يأمرهم بالاعتصام إما بالعقل، أو بالذوق، أو بالوجد، أو بالعادات، أو بالأعراف، أو بما عليه جماعته وحزبه.

الرابع: أن العالِم هو الحافظ للكتاب والسنة المُحافظ على الكتاب والسنة، ومن يتشبه به لا يهتم بحفظهما ولا بالمحافظة عليهما.

الخامس –ونكتفي بهذا لأن الصفات كثيرة–: أن العالم مَن إذا رأيته زهدت في الدنيا ويُزهدك في الدنيا، ومَن يتشبه بهم إذا رأيته أُعجبت بالدنيا وهو يأمرك بالدنيا، ويطلب لك الدنيا.

ثم قال المصنف: (وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلْعَامِيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ، وَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ)؛ مَن هو العالم في نظر الناس؟ مَن يعرف البدع والضلالات اللي قالها فلان وفلان وفلان وفلان، مَن هو العالِم مَن هو الفقيه؟ هو الذي يعرف الطرق البدعية الأذكار البدعية، من هو العالم

والفقيه؟ هو الذي يعرف ما قاله فلان في حاشيته، وما قاله فلانتان في كتابه، سبحان الله العظيم!

(وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ)؛ أحسن ما عند هؤلاء (لَبْسَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ).

(وَصَارَ العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ)؛ قال الله قال الرسول، (العِلْمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ -عندهم- إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ)، أينعم. (وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ)؛ اللي ينكر قال الله قال الرسول، ويُعادي قال الله قال الرسول، ويصنف في التحذير من الأخذ من الكتاب والسنة مباشرةً هذا هو الفقيه العالم عندهم.

أذكر لكم قصة حقيقة وليست نكتة للضحكة: في سنة ستٍّ وثمانين ذهبت إلى باكستان إلى أحد المخيمات، وخطبت الجمعة، بعد خُطبة الجمعة قال لي رجل مسن جاوز الستين يمشي بعصاه، قال: والله يا شيخ محمد وأنا شاب في ذاك الوقت، قال: أظن أنك وهَّابي، والوهابي يعني كافر عندهم، قلت له: لماذا يا شيخ؟ قال: لأنك في الخُطبة خطبت خُطبةً فيه علامات الوهابيين، أنا ما أدري ماذا قلت في الخطبة، قلت: ما هي هذه العلامة؟ حتى لا أُطيل الكلام، قال: أنك خطبت قلت: قال الله قال الرسول، قال الله قال الرسول، هذه علامات الوهابيين الكفار الزنادقة.

والله الذي لا إله إلا هو فقلت له: يا عم أولست تختم القرآن؟ قال: بلى، قلت: لماذا تختم القرآن؟ فقال: ما ذكره الإمام في الأصل السادس قال: القرآن للتلاوة نحن لا نفهمه، والله الذي لا إله إلا هو سيأتي هذا في الأصل السادس. نعم.

المتن:

أحسن الله إليكم.. قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

الأَصْلُ الخَامِسُ

بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ وَتَفْرِيقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكْفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٣١] الآيَة، وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٥٤] الآيَة، وَآيَةٌ فِي يُونُسَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس، من الآية:٦٢-٦٣]، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرُ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ إِلَى أَنَّ الأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى؛ فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقْوَى فَلَيْسَ مِنْهُمْ، يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الشرح:

ما يقوله الإمام ليس من الخيال بل هو يتحدث عن الواقع، ومن ذهب إلى بعض بلدان المسلمين يرى هذا الواقع الأليم، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيَّن من هو أولياؤه ومن هو ولي الله، وفرَّق تفريقًا جليًّا بين مَن هو وليٌّ له وبين من هو وليٌّ للشيطان، ثم أجتبى هذا الأمر -نسأل الله السلامة والعافية-.

حتى ظن بعض الناس المنافقين أولياء الله، وأنا سمعت بأذني ما هو قرأت، قرأتُ كما ذكر ابن عربي صاحب وحدة الوجود، يقول: وإن فرعون قد عرف الوحدة فكان من العارفين، وموسى عاش في التفرقة فكان من المرسلين، وعنده العارف فوق المرسل، شوفوا كيف يلبس على الناس!

وسمعت بأذني من يقول: إن اليهود والنصارى والمسلمون كلهم يدخلون الجنة، كلهم أولياء الله، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! إذا كان كلهم أولياء الله لماذا ربنا يقول: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٧٣]؛ إذا كان كل هؤلاء يدخلون الجنة فلماذا الله يقول: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٣٠-٣١]؛ وتجدون اليوم من يخرج بين الفينة والأخرى في الإذاعات والتليفزيونات ووسائل الاتصال من يقول لك: أنا من أولياء الله، إي!

والله الذي لا إله إلا هو، في سنة تسعين سنة يوم دخل صدام الكويت في سنة الغزو، بعد مدة أنا ذهبت إلى باكستان، إلى منطقة يقال لها: كويتا، مو كويت، كويتا في بلوشستان، فقال لي رجل وأنا كنت هناك إمام وخطيب في الهلال الأحمر السعودي، قال لي رجل: هلَّا تذهب معي أُريك وليًّا من أولياء الله؟ والله يا إخوان، فأنا ظننت من طيبة نفسي وقلبي أنه عالم كبير أو محدثٌ نحرير، صرحت فقلت له: نذهب، وهذا الرجل يصلي معي في المسجد وأنا أُحسن الظن به، بعدين عرفت أنه أراد أن يضحكني، بعد ما ذهبت، ذهبنا إلى بيت هذا الرجل، بيت هذا الرجل فيلا كبيرة حول الفيلا، حول هذا البيت الكبير صحراء، الأبقار والأغنام والإبل، قلت له: ما هذا؟ قال: هذه نذور لهذا الولي، والله يا إخوة تعجبت! أيش هذا الولي هذا، فانتظرنا بالسيارة، قلت ننزل لأن الناس زحام الرجال والنساء وأطفال واختلاط وشيء غريب جدًّا، كلهم ينتظرون متى يخرج الولي عليهم فيباركهم، تصوروا من خرج؟ خرج رجل حليق الشنب وحليق اللحية، ويتفل عليهم من البلكونة: تف تف تف تف، يتفل عليهم، وكل واحد يمسك التفلة ويمسحها، أيش هذا يا أخي؟ ضيعت علينا وقفتنا، قال: أنا بس أريد أضحك، قال: تعرف هذا؟ قلت: ما أعرف، قال: هذا الرجل يعيش في بريطانيا، ويأتي إلى هنا إلى كويتا لمدة أسبوعين فقط، يأخذ النذور وكذا ويمشي، ويذهب إلى كراتشي، ويجلس هناك أسبوعين، ويمشي ويذهب إلى اللاهوت ويجلس أسبوعين ويمشي هذه حياته، هؤلاء أولياء الله عند الناس، والله الذي أنا رأيت بأم عيني.

وذكر لي زميلي أنهم رأوا شخصًا يقولون: -أنا أعرف إني طولت لك لا بد منها لتعرفوا أن الكلام هذا مو من فراغ هذا واقع-، قال لي زميل لي يدرس معي: قال: رأيت رجل قالوا عنه إنه ولي من أولياء الله في مدينة بيشاور، هلك فطس، يقول: قالوا: هذا الرجل يعيش في هذا المكان أربعين سنة لم يستظل تحت شيء عن الشمس ولم يتدفا في البرد ولم يغتسل ولم يتوضأ ولم يخرج إلى جُمعةٍ ولا إلى جماعة، يقولون: هذا ولي الله، لا والأدهى والأمر أنه عارٍّ إذا جاءت الرياح وسفهت ثوبه رأى الناس عورته، أي وليٍّ لله يعمل العذرى في مكان جلوسه ولا يتوضأ ولا يغتسل، بعدين تقولون: ليش الكفار ما يصيرون مسلمين؟! الكفار لو شاف هذا كيف يصير مسلم؟ يا إخواني لنتق الله عَزَّوَجَلَّ هذا الكلام ترى يقوله الإمام عن

واقع يزعمون أنه ولي الله، ليش؟ أخرج عذرته من بطنه، وإذا أخرج عذرته من بطنه بسيف أو بسكين صار ولي الله؟!

هذا يذكرنا بقصة عن والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جاء رجل إلى بيتنا وجلس في الديوان والوالد ما كان موجود، فإذا به يُلبِّس على العامة ويدعي الولاية، فجاء والدي ما تقول: كيف تدعي الولاية، الصحابة ما ادعوا الولاية، قال: أنا ولي الله، قال: ما علامة ولايتك أنك ولي الله؟ ظن الوالد أنه سيقول: أنه متبع لرسول الله، محب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحفظ السنة، قال: علامة ولايتي أني أنقلب إلى حية، أنقلب إلى أيش؟ حية، فقال له الوالد: قد علمت أنك نجسٌ رجسٌ حلال الدم حيًّا وميتًا، فإنك ما دمت تنقلب حية، الحية تقتل حل والحرم، إذًا أنت نجس رجس، لكن هذا من يفقه؟ العالم، ومن ليس بعالم لا يفقه، يا إخوان هذا الكلام الذي يقوله الإمام حق يظنون المنافقين الفجار الداعين إلى الشرك والبدع يظنونه ولي لله . عَزَّوَجَلَّ

ويكفي في هذا أي في التفريق بين ولي الله وبين أعداء الله ثلاث آيات ذكرهم المصنف:

الأول: آية آل عمران فاصلة بين أولياء الله وأعداء الله، فإن أعظم علامات أولياء الله أتباع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظاهرًا وباطنًا والبعد عن البدع والمحدثات، هذه في آية آل عمران: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:٣١].

العلامة الثانية: ما جاء في آية سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٥٤]؛ ما علامتهم؟ اسمعوا: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٥٤].

الثالثة: آية سورة يونس: ﴿أَلَآ﴾ [سورة يونس، من الآية:٦٢-٦٣]، أي تنبهوا! (ألا) أداة تنبيه، ألا تنبهوا! من هم أولياء الله؟ ألا تنبهوا يقينًا أولياء الله ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس، من الآية:٦٢]، من هم؟ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس، من الآية:٦٣]، ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم اليوم وأنه الكبريت الأحمر والشيخ الأكبر والعلامة قطب الزمان وما أدري أيش، وما أدري أيش من الألقاب، أنه من هُداة الخلق، وأنه من حُفاظ الشرع، صار عنده أن الأولياء (لَا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ)، علامة الولي عنده

يقول: أنت تأخذ علمك ها! حدثنا وأخبرنا، وقال رسول الله ميتًا عن ميت، أنا أقول: قال قلبي عن ربي، خلاص.

أنا شوفت رسول الله في المنام يحدثني مباشرةً؛ هذه علامة الولي عندهم، يترك اتباع الرسول في سنته الثابتة الظاهرة، وأن من تبع الرسول فليس من الأولياء يقول لك، ليش؟ لأن علامة الولي أن يرتفع وأن يصل إلى مرتبة يُصبح عنده المقدرة على أن يأخذ عن الله مباشرة وعن الرسول مباشرة بدون واسطة أحاديث وأسانيد.

شوفوا كيف الشيطان يلبس عليهم، (وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ)؛ لا تُجاهد لا في نشر الدين ولا في نشر الدعوة، أنت ليس ولي الله، هذا العوام يقول لك، (وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى)؛ كيف تصير ولي؟ قال: لا الولي من ارتفع عنه القلم، ها! نقول: لا، أبشرك، الذي أرتفع عنه القلم ليس ولي بل مجنون، بل المجنون خيرٌ منه؛ لأن المجنون مرفوع عنه القلم شرعًا، وأما أنت تدعي رفع القلم والقلم مكتوب عليك مسطورٌ عليك. نسأل الله العفو والعافية.

والله أيها الإخوة أمر عظيم، رأيت رجلًا في تركيا في أحد الدورات العلمية يدعي أنه وليٌّ من أولياء الله، فقلت له: إن الله يقول كذا، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول كذا، قال: يا أخي، ألا تقرئوا القرآن؟! ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [سورة الحجر، من الآية:٩٩]؛ أنا وصلت إلى اليقين أنا لا أعبد، ها! قلت: يقينك أعظم من يقين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي؟ فسكت، قلت له: لماذا لم يتركوا الصلاة؟ لماذا لم يتركوا الجماعة؟ قال: لا هم قدوة، قلت: وأنت لا تزعم أنك قدوة؟ قلت: أنت تقول: أنا على مذهب الإمام أبي حنيفة، الإمام أبي حنيفة ترك الصلاة، ترك الجماعة والجمعة؟ والله يا إخوة أمور عجيبة والله!

قال: لا أنت وهابي زنديق كافر، يللا خذ، شوف الأصل السادس الآن، تقوله قال الله قال الرسول شوف شو يقولك.

المتن:

أحسن الله إليكم.. قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-:

الأَصْلُ السَّادِسُ

رَدُّ الشُّبْهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ، وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيقٌ وَإِمَّا مَجْنُونٌ؛ لِأَجْلِ صُعُوبَةِ فَهْمِهِمَا فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ الْعَامَّةِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة يس، من الآية:٧-١١].

آخره، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الشرح:

هذا الأصل السادس هو أن أهل السنة والجماعة يعتقدون وجوب اتباع القرآن والسنة بفهم الصحابة وسلف الأمة، أما المخالفون لهم فإن الشيطان قد وضع لهم شبهةً حتميةً يرونها لازمةً في ترك القرآن والسنة، لماذا نترك القرآن والسنة؟ لزعمين:

الأول: أن القرآن والسنة لا يفهمها إلا الأئمة، أو الأولياء، أو العلماء فقط.

والثاني: أنهم يقولون: أن القرآن والسنة حتى يفهمها الإنسان لا بد فيه من شرط كذا وكذا وكذا وكذا حتى إن هذه الشروط ربما لا تكون موجودة في أبو بكرٍ وعمر.

القرآن الذي أنزله الله على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السنة التي تكلم بها النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشيطان وضع حولهما الشباك ليصد الناس عنهما؛ لأنه يعلم الخبيث أن من قرأ القرآن بتدبر

وتفكر عرف التوحيد، وعرف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وآمن حقًّا وصدقًا، فيضع حول ذلك السدود المانعة.

أذكر -وهذا شيء واقع- أن رجلًا قال لي: كيف أنت تقول: قال الله قال الرسول، الذي يقول: قال الله قال الرسول لا بد أن يكون عالمًا بالمنطق، ولا بد أن يكون عالمًا باثني عشر علمًا، حتى ذكر من ضمن هذه العلوم أن يكون عالمًا بالحساب عالمًا بالفلك، فاستغربت! العلوم الثانية مقبولة العربية، الصرف، النحو، أصول الفقه، لكن إيش علاقة المنطق والفلسفة والحساب والرياضيات أيش علاقتهما بهذا الأمر.

فقلت له: أنا أسألك سؤال: هذا القرآن يوم أن نزل هل كان هناك منطق موجود في جزيرة العرب منطق اليونان وفلسفة الهند؟ قال: لا، قلت: هل كان أبو بكر وعمر يفهمون هذه الأمور؟ قال: لا، قلت: إذًا هل يحق لهما أن يقولا: قال الله قال الرسول أو لا؟ تصوروا ماذا قال؟ قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ليسوا مجتهدين، والله يا إخوة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ليسوا مجتهدين! من هو المجتهد إذًا؟ هؤلاء إذا لم يكونوا مجتهدين فلا مجتهد على وجه الأرض، هذا يقوله من يتزعم الإفتاء، أبو بكر وعمر ليسوا من أهل الاجتهاد. ولذلك ليس لهم مذهب، سبحان من يطمس على البصائر!

أعلم الأمة بعد رسول الله أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، أعلم الأمة قرن الصحابة، ثم قرن التابعين، ثم قرن تبع التابعين، خير الناس قرني، وهؤلاء يقولون: لا، الذي يريد أن يقول: قال الله قال الرسول لا بد أن يكون عالم بمنطق اليونان وفلسفة الهند، لا بد أن يكون عالمًا بالحسابات والفلك مثل ما بعض الناس اليوم يقول، لا يجوز أن تستدل بالقرآن والسنة نحن عصرنا غيرهم وعصرهم غير، تريدون أن ترجعنا إلى العصر الحجري إلى القرون الوسطى، ليش؟ القرآن نزل لذاك الزمان ولا ل كل زمان ومكان، سبحان الله! ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية:١٠٧]؛ للعالمين. ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية:٤٠]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف، من الآية:١٥٨]؛ وهؤلاء يقولون: لا، لا نفهم القرآن والسنة، ليش ما تفهم؟ ترى هذه الشبهة موجودة عند اليهود قال الله عنهم في سورة البقرة: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ

﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٧٨]؛ قال ابن عباس: الا اماني إلا تلاوة، أيش معناه؟ يعني اليهودي يقرأ التوراة يهزهز، يأتي عند حائط مكة ماذا قال الله في التوراة يقول: أنا لا أفهم الحاخام يفهم، يوجد من المسلمين من يقرأ القرآن تطلب منه أن يتدبر يقول: لا لا لا، التدبر ليس إلي، التدبر ليس وظيفتي، التدبر وظيفة العالم، ليش؟ هو الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ هذا للعلماء بس ولا للمشركين والكفار والمسلمين؟ هذه الآيات الإمام ماذا يقول؟ قالوا: (فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا)؛ لا، اقرأ كتاب كذا واقرأ كتاب كذا، لا تقرأ القرآن والسنة.

)وَمَنْ طَلَبَ الهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيقٌ وَإِمَّا مَجْنُونٌ)؛ حتى ان الكَرخي يقول -عياذًا بالله- الفيلسوف أصولي حنفيٌّ لكنه فلسفي ماتريديٌّ ماذا يقول: يقول: من أصول الكفر اعتقاد ظاهر القرآن والسنة -عياذًا بالله- اعتقاد ظاهر القرآن والسنة كفر، لماذاالله ينزله إذًا، القرآن الذي هو هداية الناس يوصل إلى الكفر؟ أمر عجب والله أيها الإخوة، والله أمر عجب، هذا تجده في بطون الكتب، ومن أين جاءت الباطنية؟ الباطنية يقولون: القرآن له ظاهر وباطن، يجب أن لا نعمل بالظاهر نعمل بالباطن، ومن الذي قال هذا الكلام؟ سبحان الله! كم بيَّن الله سبحانه شرعًا وقدرًا خلقًا وأمرًا، في رد هذه الشبهة الملعونة.

شرعًا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء، من الآية:٩]؛ واضحة ولا مو واضحة؟ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة، من الآية:٢]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [سورة الكهف، من الآية:١-٢]؛ أيش يريدون أكثر من هذا؟ ماذا يريدون أكثر من هذا شرعًا؟

وأما قدرًا، فتأملوا! لما أنزل الله القرآن ما كان في مشركين؟ أميون هم أم مثقفون فلاسفة؟ أيش هم؟ أميون صح ولا لا؟ بدلالة نص القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [سورة الجمعة، من الآية:٢]، أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، ما قالوا: يا محمد هذا القرآن ليس لنا هذا القرآن للفلاسفة للمناطقة لكذا كذا، نحن ما نفهم، ما قالوا هذا الكلام، فسبحان من يطمس على البصائر!

قدرًا واضح أن الذي يعتصم بالكتاب يُهدى، الكفار اعتصموا بالكتاب أسلموا، اليهود اعتصموا بالقرآن أسلموا، النصارى قرؤوا القرآن بتدبر وخشوعٍ وإنصافٍ أسلموا، ما رأينا إنسانًا يقول: والله أنا قرأت كتاب كذا من الكتب الفلسفية فأسلمت، والله ما رأيت إنسانًا يقول هذا الكلام.

وأنا عاشرت الجاليات المسلمة في الجامعة الإسلامية يوم كنت مسؤول عن الجاليات في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية رأيت العشرات ممن أسلموا والله ما يوجد إنسان منهم يقول: أسلمت لأني قرأت كتابًا نحويًا، أو صرفيًا، أو أصوليًا، أو كتابًا فلسفيًا، أو منطقيًا، كلهم يقولون: أسلمنا لأننا قرأنا القرآن.

يا إخوان كيف شرعًا وقدرًا خلقًا وأمرًا، رد الله هذه الشبهة الملعونة، بل إن الله عَزَّوَجَلَّ بين أن هذا القرآن هو العصمة هو الهداية هو المُذكر، هو الذكر، إلى حد الضروريات، تدرون كم وصف ذكر الله في القرآن للقرآن؟ أكثر من مائة وعشرين وصف ذكر الله للقرآن في القرآن، وذكرته في المجلد الأول في كتابي [المسائل العقدية المتعلقة بالقرآن الكريم] وأكثر من ستين اسم كل اسمٍ متضمنٍ لمعنى عظيم من المعاني التي تدل عليها القرآن، فالقرآن الشفاء، فالقرآن الذكر، فالقرآن الهداية، فالقرآن الكتاب، فالقرآن النور، فالقرآن سبحان الله! ومع ذلك يقولون: لا، لا نفهم القرآن، والله أمرٌ عجب!

رأيت إنسانًا كان صوفيًا غارقًا في التصوف الحلولي يعتقد أن كل شيء هو الله، حتى يقول: إني مرة من المرات أردت أن أضرب كلبًا كان يريد أن يأكلني يقول: فتذكرت أن كل شيء هو الله فما ضربته، ولكن هربت منه، شوفوا العقل إذا تدنس تنجس، العقل إذا ترك النور المنزل تظلم، تنجس تدنس، قلت له: ما الذي هداك إلى السنة إلى الإسلام؟

قال: قرأت القرآن بتدبرٍ يومًا واحدًا، لحظةً من اللحظات، فكأنما أُلقي في قلبي نورًا، الله أكبر!

المشرك يقول: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإن مثل هذا لا يخرج إلا من الله.

وهناك من يدعي الإسلام، يقول: القرآن والسنة لا نفهمهما.

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يثبتنا وإياكم على هذه الأصول العظيمة، وأن يتوفانا على التوحيد، وعلى تعظيم الكتاب والسنة، وصلِّ اللهم وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.